

إيثار

اسم الكتاب: إيثار
التأليف: ضحى المهدي
نوع العمل: رواية
مراجعة وإخراج فني: عمرو سالم سواج
رقم الإيداع: 2021/ 1536
التسجيل الدولي: 978-977-835-230-6
الناشر: دار زهرة كتاب ودار بوك جارد
١٥ ش السباق - مول الهريلا ند - مصر الجديدة - مصر

Facebook 

دار زهرة كتاب للنشر

Email



za7ma-kotab@hotmail.com

bookguard.publishing@gmail.com

Tel



002 01205100596

002 01100662595



جميع حقوق الطبع والنشر محفوظة ©

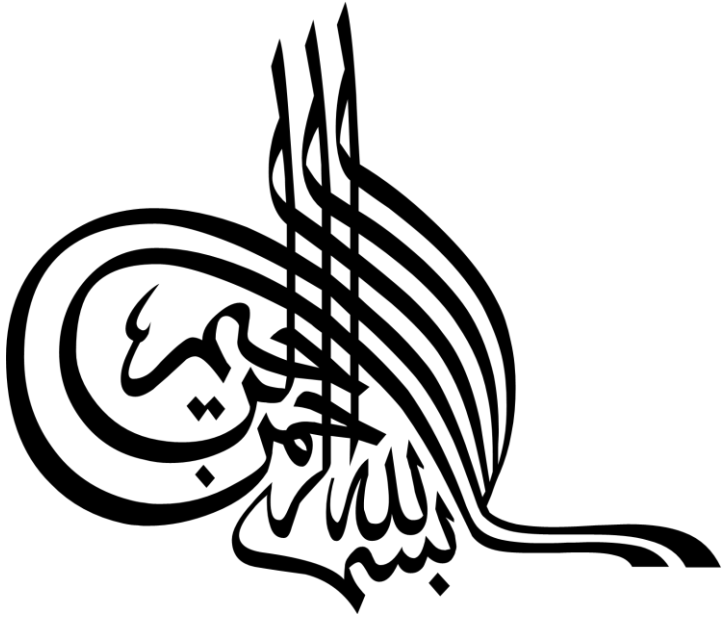
دار زهرة كتاب للنشر

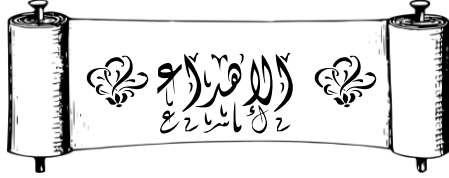
لا يحق لأي جهة طبع أو نسخ أو بيع هذه الهادة بأي شكل
من الأشكال ومن يفعل ذلك يعرض نفسه للمساءلة القانونية

إيثار

رواية

ضحى المعلم





إلى أبي ورفيق عمري، إلى أوفى من
أحب قلبي ورأت عيناى، إلى أعظم
رجل في تاريخ أيامى، طبت حيا وميتا



أنا فتاة عشرينية أدعى "إيثار"، متوسطة الجمال، لدي بشرة خمرية وشعر أسود قصير مجعد بعض الشيء، وعينان بنيتان، أعيش في حي ريفي، انفصل والداي منذ سنوات طويلة ولم يكن لدي أشقاء، أعمل صحفية في مكتبٍ ليس بالقرب من سكني ولا هو بالبعيد، أسكن بمفردتي في منزلٍ صغيرٍ مكونٍ من طابقين، الطابق الأول يحوي حمامًا وغرفة معيشة ومطبخ، والطابق الثاني يحوي غرفتي نوم وحمامًا صغيرًا.

في مغرب يومٍ من الأيام طُرق باب منزلي، توجهت إلى هناك لأرى مَنْ بالباب، فإذا هي رفيقة لي منذ أيام الدراسة، لم أرها منذ زمنٍ بعيد، لم أتذكر اسمها لكنني أتذكر ملامحها جيدًا، فقد كانت أجمل فتيات الصف، عيناها سوداوان واسعتان، وشعرها البني الطويل ناعم كالحرير، ولها بشرة صافية بيضاء، لم تكن لتُنسى أبدًا من شدة جمالها.

ابتسمتُ لها ورحبت بها ودعوتهَا للدخول، دخلنا إلى غرفة المعيشة بالطابق الأرضي والتي تحوي أريكتين ومنضدة وتلفازًا معلقًا على الحائط وبها نافذة تطل على فناءٍ صغير.

قالت: أنا بسمة، رفيقتك في الصف السابع، أتذكركيني؟

فتبسمتُ قائلة: نعم عزيزتي، بالطبع أتذكرك.

وحمدت الله كثيراً بداخلي حيث أخرجني من هذا الموقف المحرج؛ ماذا

كنت سأفعل إن لم تخبرني باسمها؟

جلسنا نتناول بعض الأحاديث ونسترجع ذكريات الدراسة وأعددت

لها كوباً من القهوة.

جلسنا نتسامر وضحكنا ونحن نتذكر مدرس الرياضيات، كان دائماً

غريب الأطوار، ذا صوتٍ أجش، ومدرّسة اللغة العربية التي كانت تعاقبنا

كل درس على أفعالنا الطفولية، ذكريات كثيرة جداً، لكنها جميلة حقاً.

ساد الصمت قليلاً ثم نظرتُ إليّ وقالت:

- أريد مساعدتك بشدة، أعلم أنه لن يساعدني أحد غيرك.

قلت لها: بالطبع عزيزتي، على الرحب والسعة، ماذا تريدان؟

قالت: إن منزلي مسكون بالجن والعفاريت، لكن ليس هناك من يسمعني ولا من يصدقني، إني بالفعل أراهم، أريد فقط المكوث عندك بعض الوقت حتى أستطيع إيجاد منزل جديد.

قلت لها: بالتأكيد سأكون سعيدةً بذلك.

استكملتُ حديثي وفي نظراتها لي شيء من الريبة:

- لكن يا عزيزتي لا يوجد مثل هذه الأشياء في عالمنا، فقط استرخي.

قالت، وعيناها جمر يحترق:

- لكنني أراهم، كيف لا تصدقون؟

قلت لها: اهدئي؛ فلن تعودى هناك، انسي أمرهم، لا عليكِ.

أتيت لها ببعض الطعام والعصائر، لم تصل إليها يدها، فقط كانت تنظر

إليها، ثم قالت مسرعة:

- لقد نسيت أن أحضر ملابسي من شقتي.

وافتعلت ذلك عندما رأيتني أنظر إليها وكدت أن ألقى عليها سؤالاً
لتخبرني لماذا لا تأكل، ألم يعجبها الطعام أم أضيفُ له شيئاً أم أستبدله
بالكامل؟

قلت لها: لا عليكِ سوف آتي لكِ ببعض الملابس من عندي.

قالت: لا، دعينا نذهب إلى منزلي لأجمع ملابسني وأغراضي وسوف
نعود سريعاً.

معللة ذلك بأن ملابسني لا تناسبها.

وافقتُها وذهبتُ معها وأنا في غاية الاندهاش مما أفعل؛ كيف أذهب
معها بكل سهولة وأنا لا أعلم عنها شيئاً منذ سنوات طوال ولا أدري ماذا
ستفعل بي؟ ولكنني كنت أتصرف بتلقائيةٍ غريبةٍ لا أستطيع السيطرة على
قراراتي.

عندما قررنا الذهاب إلى بيتها وخرجنا من منزلي، توجهنا إلى الطريق
وإذا بسيارة أجرة تأتي نحونا.

أشرت إلى السيارة وعند ركوبنا سألني السائق:

- إلى أين سيدتي؟

فاقتربت مني وأخبرتني بالعنوان لأخبره للسائق بصوتٍ خافتٍ ولم
تتفوه هي بكلمة واحدة طوال الطريق وأشارت إليّ أنها ستغفو قليلاً، وبعد
ساعتي زمن وصلنا إلى مكان منزلها.

وخزتها لأوقظها ونزلنا بمنطقةٍ غريبةٍ جداً مليئةً بالقطط السوداء،
بريق عيونها مخيف في الظلام، كان هناك مبنى وحيد إضاءته خافتة، مكون
من ستة طوابق.

قالت لي: هناك في ذلك العقار.

قلت لها: ما هذا المكان الغريب وكأنه هُجر منذ سنين؟ كيف تعيشين

هنا؟

ضحكت بسخرية وقالت: هيا بنا.

صعدنا الدرج بصعوبة فقد كانت درجاته محطمة، لم يكن هناك أي دلالات على وجود أشخاص بالمبنى فقط الحطام والكثير من الأتربة، إنه حقاً مخيف.

وصلنا إلى الطابق الأخير ودخلنا شقتها التي كانت بالطابق السادس، كانت قديمة مبعثرة مليئة بالأتربة هي الأخرى وكل الأثاث بها محترق.

قلت لها: ما هذا؟ ماذا حدث هنا؟

فقال معللة إن شقتها احترقت بفعل الجن والعفاريت فقد أشعلوا بها النار ولم تستطع السيطرة عليها... ولم تنته من كلماتها

لحظة!!!

يا للهول...

هل هذه فئران؟!!

كم إن هذه الشقة مقززة لا يحتمل العيش بها.

قلت لها: كيف كنتِ تسكنين هنا؟

قاطعتني قائلة: مضطرون للمبيت هنا والمبيت هنا يحتاج صبراً وعزماً وقوة لا أريد أن أرى تعبيرات وجه الطفل الذي تاه عن أمه حتى نعود.
ثم ضحكتُ وذهبتُ لجمع ملابسها وأنا في دهشةٍ شديدةٍ مما هي عليه من هدوءٍ وكأن الأمور طبيعية، لم أتفوه بكلمة وظللت أراقب وداخلي أسئلة كثيرة.

قطعت عليّ ما أفكر به.

قالت: تعالي معي لنجلب بعضاً من مسحوق الغسيل من جارتى السيدة العجوز بالأسفل.

أومأتُ لها برأسي بالموافقة وتوجهت إلى الباب لأفتحه، فإذا بقطة سوداء تصرخ في وجهي ثم ركضت بعيداً.

ارتعبتُ وصرخت أنا الأخرى وإذ بكل الدماء تهرب من وجهي ويصبح شاحباً يميل للزرقة.

ضحكتُ رفيقتي قائلة:

- قلتُ لكِ المييت هنا ليس بالسهل؛ عليكِ أن تكوني أكثر قوة.

فنظرت إليها بغضبٍ شديدٍ ثم هممت معها بالنزول.

طرقنا باب سيدة مسنة بالطابق الخامس، ما لبثت أن فتحت الباب

فتولت رفيقتي تعريف بعضنا للآخر:

قالت بسمة: مرحبًا يا خالة.

قالت السيدة العجوز: مرحبًا يا بسمة، كيف حالك يا بنتي؟

قالت بسمة: بخير سيدتي، هذه صديقتي تدعى إيثار.

فرحبتُ بي السيدة وقالت: أهلاً بك.

فأومأت لها بالترحيب.

واستكملتُ بسمة قائلة لي: وهذه هي الخالة سوزان سيدة من سيدات

العقار الوقورات.

فقلت لها: أهلاً بك سيدتي.

فابتسمت لي.

بعد أن رحبنا ببعضنا بعضًا طلبتُ منها بسمه بعض المسحوق.

قالت: على الرحب والسعة.

وابتسمت لها وأحضرتة لنا على الفور وشكرتها رفيقتي وغادرتنا.

لكن نظراتها إليّ كانت مثيرة للقلق حقًا، كأنها ترفض وجود غرباء في

ذلك السكن غريب الأطوار.

صعدنا إلى الشقة مرة أخرى وذهبت بسمه لغسيل ملابسها وبقيت أنا

أتفقد المكان لأجد أي شيء لأجلس عليه ولم أجد غير الأرض فلا يصلح

غيرها وجلست أتفقد هاتفي لا توجد أي إشارة.

هل يمكن أن من يعيشون هنا لا يستخدمون هواتفهم النقالة؟

كيف ذلك!؟

بعد قليل انتهت بسمه من غسيل ملابسها والتي لا أدري كيف فعلتها

هي الأخرى ولم تكن هناك مياه عندما أردت أن أغسل وجهي ويدي أو أن

أشرب بعض الماء. لا توجد حياة في هذا المكان.

أتت وجلستُ بجواري تلعب بخصلات شعرها وتدندن بعضًا من أغنياتنا في المدرسة قديمًا حتى سمعنا صوتًا عاليًا جدًّا، صوت شجار في الأسفل.

قلت لها في فزع: ماذا يحدث بالأسفل؟

فقلت لي: لا عليكِ هدئي من روعك إنه جاري في الطابق الثالث وجاري الآخر في الطابق الثاني دائميًا يتشاجران، يا لهم من قومٍ فوضى لا يهتمون براحة الآخرين.

قلت لها: لم يتشاجران دائميًا؟ ألم يجدا حلاً لخلافتهما، ألا يستطيع أحد الصلح بينهما؟

قالت لي: كفاكِ أسئلة، هيا بنا نخلد للنوم فلدينا يوم شاق غدًا في البحث لي عن منزل جديد.

خلدنا للنوم وها نحن سوف ننام على أرض مليئة بالأتربة والفئران
وبعض الحشرات التي لم أر مثلها في حياتي.

قررت أن أسألها عن ما أصاب الأثاث بالشقة وأنا في تردد ووجل
لكنني استجمعت قواي وقلت لها:

- ماذا حدث بشقتك؟ لم هي هكذا محترقة وغير نظيفة ألم تكوني بها
منذ فترة؟

فقالت بصوت خافت: إنه حريق بسبب الجن الذي يسكن المكان.

ثم أضافت سريعاً: علينا النوم حالاً.

واستدارت وخلدت للنوم فوراً ولم تعطني فرصة للرد.

ألقيت شالي الذي ارتديه أرضاً لأنام عليه ولكنني لم أكن قد رأيت بعد
هذا الذي تزعم أنها تراهم.

كان ليلاً هادئاً لا يعكر هدوءه سوى صوت الحشرات والفئران.

نمت في هدوء إلى أن استيقظت من نومي بعد عدة ساعات، وما إن
فتحت عيني حتى وجدتها تحديق بشيء لا أراه، وعيناها جاحظتان.
أصابتنى قشعريرة شديدة وأغمضت عيني من شدة الخوف وأخذت
أدعو الله أن تشرق شمس اليوم التالي حتى نمت.

استيقظنا صباحًا على صوت طرق الباب، فتحت عيني حتى أرى فأرًا
يعتلي صدري وينظر إليّ عن قرب ويتأملني جيدًا، فصرختُ صرخة
أيقظت رفيقتي.

فقال لي وهي في غاية الذعر: هلا هداًتي سوف نرحل قريبًا.

قلت لها في شدة: ماذا عساي أن أفعل في مثل هذا العقار الغريب؟
ثم طرق الباب مرة أخرى فنهضتُ بسمة لتفتح الباب وذهبتُ خلفها
مسرعة.

فتحتُ رفيقتي الباب فإذا بسيدة شابة حسناء ومعها طفلتها الجميلة.

قالت بسملة لي: هذه جارتي السيدة "جميلة" في الطابق الرابع أتت لزيارتنا قبل رحيلي.

فرحبت بها بابتسامة خفيفة، وتابعتُ بسملة قائلة:

- وهذه صديقتي إيثار.

فقال لي الحسنة: أهلاً بك يا عزيزتي.

وجلسنا فتناولنا بعض الأحاديث عن صاحب العقار وسوء معاملته وأنا أراقب في صمتٍ فلست أدري من هو صاحب العقار، ولا أدري ماذا أفعل هنا حقاً.

ثم تركتنا طفلتها ودخلت إلى المرحاض في هدوء شديد وجلسنا مدة قصيرة لا تتجاوز الساعة تحدثنا فيها عن سبب مجيئنا هنا إلى أن هممتُ بالذهاب فقلتُ لها: انتظري؛ إن صغيرتك بالمرحاض.

فقال لي: أي طفلة يا عزيزتي إنني لم أرزق بأطفال بعد أن ماتت صغيرتي غرقاً.

وقبل أن أتفوه بكلمةٍ أخرى نظرت إليّ صديقتي بعتاب وقالت لها:

- أعتذر منك؛ إنها لا تعرف أي أحد هنا كما تعلمين أنها ضيفتي.

قالت الجارة: لا عليكِ عزيزتي سوف أذهب فقد اقترب موعد عودة

زوجي من العمل.

وما إن رحلت حتى أخذت أقسم لها أنني رأيت طفلة، ودخلت أبحث

عنها لكنني لم أجد أحدًا.

فقلت لي: هذا ما أخبرتك به ولا يصدقني أحد.

جلستُ في ذهول ودقات قلبي تدق كدق الطبول في حفل صاحب،

ومعدتي تصرخ جوعًا فلم تُحضر رفيقتي أي طعام لناأكله، ومكثت على تلك

الحالة لمدة من الزمن حتى قالت لي:

- هيا بنا نعود إلى منزلك فقد انتهيت.

قلت لها بغضب: هيا ولا تنتظري مني أن أعود معكِ هنا مرة أخرى،

اجمعي كل أغراضك الصالحة للاستعمال.

وبداخلي قلت: "لا أظن أنه يوجد منها أي صالح".

وها أنا ذا لم أتقدم لفتح الباب مرة أخرى خشية أن يقفز شيء آخر في وجهي فقد اعتدت هذا، وفتحتُ هي الباب وعلى وجهها ابتسامة ساخرة ترسلها، ونزلنا الدرج المحطم بحذر شديد إلى أن وصلنا إلى مدخل العقار فوجدنا الحارس جالسًا عند الباب وهو يسكن بالطابق الأول فاتجهت نحوه بسمة فقالت له:

- هذا هو مفتاح شقتي يا عم سالم سأذهب بلا عودة.

فقال لها بابتسامة: فعلتِ ما برأسك.. نحن دائمًا في انتظارك في أي وقت إذا شئتِ العودة يا بنتي، أصلح الله حالك.
فتبسمتُ له ثم رحلنا.

عدنا إلى منزلي، جلست على الأريكة لأستريح بعض الوقت أنا وبسمة
وكأني غفوت قليلاً حتى أفقت على قولها:

- سوف أصعد للغرفة لأرتب أغراضي.

فأومأت لها رأسي بالموافقة وقلت: اذهبي حتى أحضر لنا طعاماً.

بدأت صنع بعض الطعام، وفي الوقت نفسه صعدتُ هي لتضع
حقيبتها بالغرفة وتبدل ملابسها، وما إن فرغت من أعمالها حتى انتهت أنا
من إعداد الطعام ووضعتة وجلسنا على المنضدة وبدأت أكل بشراهة فلم
أضع في فمي كسرة خبز منذ أمس، لكنها لم تأكل قط؛ اكتفت بالعبث في
الطعام بملعقتها.

قلت لها: لم لا تأكلين؟

فقال مسرعة مغيرة لأساس الحديث:

- أفكر في منزلي الجديد؛ أين سأجده؟ إنه لأمر شاق، سأذهب للبحث
عن منزلٍ حتى لا أسبب لك إزعاجاً أكثر من ذلك الذي سببته.

فقلت لها: لا يا عزيزتي أنا سعيدة جداً بوجودك ولم تُسببي لي أي إزعاج، غداً نذهب معاً، أما الآن فكلي شيئاً فمئذ عدة أيام لم تضعي شيئاً في فيهك.

قالت لي: لا، لست جائعة، أنا فقط أريد أن أجد منزلاً، وأريد أن أستريح بعض الوقت فهيا بنا نخلد إلى النوم.

فقلت ضاحكة: نعم سوف ننام في أسرتنا المريحة فقد كان ليلة أمس من أصعب الليالي التي مرت عليّ طوال حياتي فلم أنم مطلقاً على الأرض. فسبقنتني إلى أعلى حتى أنتهي من ترتيب الطاولة والمطبخ وتنظيف الأواني، وما إن انتهيت حتى صعدت إلى سريري ولم أدرك أي شيء فقد تمكن النعاس مني وذهبت في سبات عميق.

عندما استيقظت صباحاً فتحت عيني ونظرت إلى الساعة، كانت الواحدة ظهراً، نظرت حولي فلم أجد نسمة بجواري ظننت أنها قد تكون في أي مكان هنا أو هناك.

قمت للبحث عنها في أرجاء المنزل، لا يوجد لها أثر، ظننت أنها ذهبت للبحث عن منزل وستعود قريباً، قررت إعداد الطعام لها لحين عودتها. انتظرتها كثيراً فقد انشغل بالي؛ فلم يدخل جوفها أي طعام منذ أتت إليّ، لكنها لم تعد.

تأخرت كثيراً في العودة، لم تتأخر ساعات بل أياماً فقررت أن أذهب إلى مكان سكنها للبحث عنها فقد تكون عادت إلى هناك وأصابها مكروه.

في صباح اليوم التالي

أخذت سيارة أجرة وأخبرت السائق عنوان العقار.

بينما نحن في الطريق شعرت أن السائق يريد قول شيء ما فقد كان ينظر

إليّ بكثرة في المرأة ما بين الحين والآخر فقلت له:

- هل هناك شيء سيدي؟

قال لي بصوتٍ مترددٍ بعض الشيء:

- لم تذهبين إلى هذا المكان يا ابنتي؟ لا أريد أن أكون متطفلاً عليك

ولكن المكان مهجور وأخاف أن يصيبك مكروه.

قلت له مقاطعة إياه:

- لي صديقة تعيش هناك لا تقلق.

قال لي:

- يا ابنتي لا أحد هنا، المكان مهجور منذ عشر سنوات، عودي معي

حيث جئت.

قلت له: كيف؟ لقد كنت هنا أمس معها ولها جيران وتحدثت معهم،
من الممكن يا سيدي أن تكون مخطئاً فيما ظننت.

فنظر إليّ باستغراب شديد وقال لي بشيء من الشدة:

- هذا العقار حدث به ماس كهربائي وجميع السكان قد احترقوا ولم
يسكنه أحد من بعدهم، عودي حيث جئت ولا تعودي هنا مرة أخرى.

وحول مسار السيارة وعاد بنا.

عدت إلى منزلي سريعاً وأنا في حالة يرثى لها كأنني في حلم، وجسدي
ينتفض من هول ما سمعت، ويجول في خاطري الكثير والكثير، إن كان ما
قاله صحيحاً فمع من كنت؟

ومع من تحدثت؟

يا إلهي هل جننت؟

أخذني الفضول فصعدت الدرج بصعوبة واتجهت إلى حقيبة صديقتي
في الغرفة وفتحتها فلم أجد بها أي شيء، أين ذهبت أغراضها؟

وجدت بها ورقة صغيرة مكتوب بها عبارة أصابتنى بشلل مؤقت!
"أشكرك على استضافتك لي في منزلك ومساعدتك لي في إيجاد منزل
جديد، سوف أسكن معك هنا في منزلك".
وما إن قرأت تلك الكلمات حتى فقدت الوعي تمامًا.
لم أدرك ما حولي حتى رن جرس الهاتف، تحاملت على نفسي وأنا في
وهن شديد. رددت على الهاتف فإذا به مديري في العمل.
قلت: مرحبًا.

وإذا به ينفجر في قائلًا:

- إن لم تحضري في صباح الغد سوف أتمد معك إجراءات لن تسرك
أبدًا؛ فأنت متغيبه عن عملك منذ أسبوع كامل وأتمنى أن تبرري لي ما
يحدث، أرسلت لك الكثير من الموظفين فلم يجدوا جوابًا.
قلت له: حسنًا، حسنًا، سوف أحضر باكرًا.

وانتهت المكالمه فلم أكن في حالة جيدة لشرح الوضع.

عزمت على الرحيل من منزلي للأبد ومن الحي بأكمله، بل من المدينة كلها، سوف أرحل بعيداً جداً.

جهزت جميع أغراضي، اتصلت بعاملٍ ليحمل لي أغراضي إلى سيارة لنقل الأغراض.

رن جرس الهاتف ثلاث مرات ثم فتح الخط قلت:

- مرحباً هلا أحضرتم لي أحد العمال وسيارة للنقل أود الرحيل لمنزل آخر.

فرد عليّ الموظف قائلاً: لم تريدن الرحيل يا عزيزتي هل أزعجتك؟ لم تتركيني وحدي فقد أحببت صحبتك.

يا إلهي!!! لم يكن الموظف....

قلت لها: بسمة أين أنتِ بحثت عنك كثيراً؟ ولم أنتِ من يجيب على هاتف خدمة النقل؟ ولم لم تعودني إليّ مرة أخرى، أريدك أن تخبريني بأشياء كثيرة.

فإذا بصوت الموظف يقول لي: عفواً سيدتي نريد عنواناً.

قلت له: أين هي؟ أين بسممة؟

قال لي: من هي بسممة؟ هل أنتِ على ما يرام سيدتي.

حينها أدركتُ أنني في مأزق، أغلقت الهاتف وأخذت أجري حتى أصل إلى باب منزلي، وقلبي كاد أن يتوقف من شدة الخوف؛ فما يحدث لا يستوعبه عقل، وما إن وصلتُ ووصلتُ يداي للباب لأفتحه حتى أتاني صوت من خلفي، ويد وضعت على كتفي:

- لم أنتِ راحلة عزيزتي؟ ألم أقل لكِ مرات ومرات اهدئي، كم أنتِ عنيدة، لن أتركك ترحلين.

فالتفت إلى الصوت فإذا بها بسممة، لم تكن رفيقتي الحسنة بل كانت مجرد وحش بشع له عينان حمراوان وأنياب حادة ومخالب طويلة وصوت مروع.

قُتلت إيثار على يد رفيقتها، هكذا يكون الحصول على الضحية استدراجها ومن ثم قتلها وانضمامها إلى العالم الآخر، وبقيت روحها في المنزل، أصبحتا رفيقتين من جديد، لكن بشكلٍ مختلفٍ وعالمٍ آخر، تنتظران الضحية الجديدة، من ستظهر مجددًا.

بعد ثلاثة شهور كتب إعلان على المنزل أن المنزل للبيع، أتت أسرة بسيطة يريدون شراء منزل جديد، وتمت المقابلة بين الأسرة والفتاتين وتم البيع.

أنا عمار رجلٌ أربعينيٌّ، ذو لحية يشوبها بعض الشيب، مزارع في بعض
أراضي الأغنياء في قريتي، زوجتي سمر هي ابنة خالتي وهي شابةٌ ثلاثينيةٌ
شقرَاءُ، قصيرة القامة، تساعدني في العمل فهي تعمل في منازل زوجات من
أعمل لديهم بالحقول.

أخبرتُ زوجتي صباح يوم:

- إني ذاهبٌ لأرى منزلاً قد يناسبنا.

فتهلل وجهها وقالت:

- وفقك الله يا عمار، ودمت لنا سنداً وقوةً.

قبّلت جبينها ورحلت إلى ذلك الحي لأرى تفاصيل المنزل فقد كان في
قريةٍ بعيدةٍ عن قريتنا بعض الشيء ويجب أن أتأكد أنه مناسب قبل حمل جميع
أغراض منزلنا.

وما إن وصلت حتى وجدته بيتاً هادئاً جميلاً به فناء صغير وبوابة
صغيرة.

دخلت وطرقت الباب وانتظرت قليلاً وأنا أنظر حولي مبتهجاً كبهجة

تلك الزهور من حولي حتى فتحت لي فتاة، قلت لها:

- مرحباً أنا المشتري الجديد.

قالت لي:

- أهلاً بك أنا إيثار، تفضل بالدخول.

وبينما نحن نتعارف أتت فتاة أخرى فقالت لي إيثار:

- وهذه هي بسمة شقيقتي.

فنظرتُ إلى الفتاة بابتسامة وقلت لها:

- أهلاً بك.

واستكملتُ إيثار كلامها، وقالتُ لشقيقتها:

- هذا هو المشتري الجديد السيد عمار.

فابتسمت الفتاة ورحبت بي.

جلستُ مع إيثار تشرح لي سبب البيع أن أباهما مسافرٌ خارج البلاد
وأرسل إليها ليعشا معه.

وبينما هي تسرد قصتها قامت بسممة وأعدت لي فنجان قهوة وأحضرتة
لي، قلت لها:

- سلمت يدك.

وما إن انتهيت منه حتى عرضتا عليّ الصعود لأعلى لتفقد المنزل.

صعدنا فوجدت غرفتي نوم لا بأس بهما، كل غرفة بها نافذة صغيرة
وتحوي سريرين وخزانة للملابس ومكتبًا صغيرًا وكرسیًا وبجوارهما
مرحاض وفي نهاية الممر نافذة تطل على مدخل البيت.

نزلنا الدرج فقالت بسممة:

- وها هو مرحاضٌ آخر سيدي وغرفة المعيشة التي جلسنا بها ومطبخ
رائع سيعجب زوجتك حتمًا فنحن النساء البارعات في إعداد الطعام أول
ما يجذبنا بالمسكن الجديد هو المطبخ.

فقلت لهما: كم أن زوجتي بارعة حقاً في إعداد أصناف الطعام! كم أنا محظوظ بحصولي على زوجة مثلها!

ضحكنا ثم عدنا إلى غرفة المعيشة لنكتب عقد البيع، جلستُ أنا وإيثار نتبادل بعض الأسئلة عن الحياة العامة، قالت لي:

- كم طفلاً لديك سيد عمار؟

قلت لها: لدي ثلاثة: صبي ست سنوات، وفتاتان أربع سنوات.

قالت: أهما توأم؟

قلت لها: نعم توأم جميل، هما من يجعلان للمنزل معنى ويملأانه بهجة.

بينما بسمه ذهبت إلى الخارج لتأتي بالعقود ثم عادت ببعض الأوراق الملونة، كتبت العقود ووقع كل منا عليها ودفعتُ لهم الأجر ثم غادرتُ وعدت إلى أسرتي ومعى العقد وأنا في غاية السعادة.

بينما أنا عائد في الطريق ذهبت في عالم آخر وأنا أتخيل كم ستتغير حياتنا في هذا المنزل، كم سيفرح الصغار، حقًا سيمرحون ويلعبون، كم ستسعد زوجتي بهذا كله وما إن وصلت إلى البلدة حتى أخذت أهرول إلى البيت. وصلتُ إلى البيت وطرقت الباب ولكن ليس طرقةً عاديًا بل جعلته كدق الطبول من شدة الفرح، وما إن فتحت لي زوجتي حتى أخذتُ بيديها لأرقص وأغني معها، كم كنت في غاية السعادة!

قالت ووجهها يعتليه كم كبيرٌ من الأسئلة:

- ماذا بك يا عزيزي؟

قلت لها في سعادة غامرة:

- حصلنا على منزلٍ جديدٍ رائعٍ مكون من طابقين وبه فناء صغير يمكننا زراعة بعض الزهور فيه كما كنتِ تتمنين.

كم كان صغاري سعداء بذلك الخبر! وأخذنا نغني ونترقص بعض الوقت.

ثم ذهبت زوجتي لتعد الغداء، كان أطعم ما مر على فمي منذ تزوجتها
فقد أعدده بحب وسرور، جلسنا أرضاً لتتناول آخر غداء في منزلنا القديم
وبعد انتهائنا من الغداء عزمنا على حزم أمتعتنا استعداداً للرحيل.

في تمام الساعة السابعة مساءً؛ انتهينا من إعداد كل الأغراض أنا
وزوجتي جهزنا الأطفال واتصلت بشاحنة لنقل الأثاث لتُقلنا إلى البلدة
الجديدة.

أتت سيارة النقل وساعدني العامل في حزم الأمتعة ورحلنا ونحن
متعبون، لكن البهجة والسرور كانتا تخففان عنا التعب وأخذنا نغني بعض
الأغاني التي تعودنا عليها دومًا حتى غلبنا النعاس.

مع طلوع فجر اليوم التالي فتحت عيني ورأيت أمامي الطريق كنا على
وشك الدخول للقرية وجانبي السائق عيناه متشاقلتان توشكان على
الإغماض ثم نظرت إلى الخلف فإذا بزوجتي والأولاد نائمون.

أيقظت سمر فهبت من نومها بكل حماس وقالت لي:

- هل وصلنا؟

قلت لها:

- نعم عزيزتي هيا أيقظي الصغار.

قالت لي:

- حسناً سوف أفعل.

ثم تابعت قائلة:

- يا لها من بلدة رائعة دمت لنا يا عزيزي.

فتبسمت لها، أيقظت الصغار، قاموا ينظرون من النافذة على شوارع

القرية بشغف وفرحة وما هي إلا لحظات حتى وصلنا إلى المنزل.

فقلت للسائق:

- هنا سيدي شكراً لك.

توقفت السيارة ونزلنا وأنزلنا أغراضنا في الفناء، وقفت أسرتي في انبهار شديد بجمال المنزل فقد كنا نعيش في منزل لا يصلح للدجاجات، دخل الصغار يتفقدون المنزل.

بينما أنا وسمر قمنا بإدخال كل الأغراض إلى الداخل، قالت سمر:

- سوف أعد بعض الطعام لنا وحينما ننتهي سوف تأخذ إخوتك يا فارس إلى الفناء للعب حتى ننتهي أنا ووالدك من تجهيز المنزل.

دخلت سمر المطبخ وأعدت إفطارًا سريعًا ثم خرجت ونادت على الصغار وجلسنا على الطاولة ولأول مرة في حياة أطفالنا يجلسون على طاولة طعام فلم يكن لدينا مثلها.

بينما نحن نأكل قلت لهم:

- أرى على وجوهكم السعادة؛ هل أعجبكم المنزل الجديد؟

رد الجميع بصوتٍ واحدٍ متناسق:

- نعم إنه رائع جدًّا.

انتهينا سريعاً ثم أخذ فارس شقيقتيه ساجدة وتسيب إلى الفناء يلعبون الكرة، تلك الكرة صنعتها لهم من بعض الأقمشة البالية.

وأخذت أنا وسمر نضع ملابسنا في الخزانات والأواني في المطبخ وننقل أحد الأسرّة في غرفة الأطفال حتى يكون بها ثلاثة أسرّة لثلاثتهم ولنا سرير واحد ولم نستغرق وقتاً كبيراً فلم يكن لدينا الكثير من الأغراض كما تعلمون.

عند غروب الشمس نادينا الصغار للعشاء فوجدنا معهم جرواً صغيراً، قلت لهم:

- من أين أتيتم بهذا الجرو الصغير؟

قال فارس: لقد وجدناه أمام الفناء يا أبي، كان خائفاً جداً.

ثم استكمل حديثه: هلا نحتفظ به يا أبي؟

نظرت إلى الفتاتين فرأيت على وجهيهما ترقباً شديداً لإجابتي.

فابتسمت وقلت لهم: أدخلوه سوف نطعمه معنا.

ذهب الصغار لغسل أيديهم قبل البدء في عشاءهم ووضعنا للجرو
الصغير بعضاً من طعامنا وبعض الماء، كانت سمر غير مرحبة به في المنزل
ولكنني أقنعتها بتركه للصغار فكم هم سعداء بوجوده.
بينما نحن جالسون على الطاولة قالت لي ساجدة:

- ماذا سنسميه يا أبي؟

قلت لها:

- ماذا تقترحين يا جميلتي؟

فردت تسييح:

- سنسميه "فلاني" يا أبي.

فوافقته توأمها على الفور.

وقال فارس: إنه اسم رائع حقاً.

قلت لهم:

- إذاً فهو فلاني.

ضحكت والدتهم وقالت:

- كم هو محظوظ بكم ذلك الجرو ستهتمون به كثيرًا!

وانتهينا من عشاءنا.

وبينما نحن نحتسي بعض الشاي، قالت لي سمر:

- متى سنبحث عن عمل؛ فالمعيشة هنا غالية الثمن؟

قلت لها: لا تقلقي سوف أذهب غدًا للبحث عن عمل، أما أنتِ

فيجب عليك أن تهتمي بالصغار.

وقد كنا في غاية التعب فقلت لهم:

- هيا بنا نخلد للنوم فكم كان يومًا شاقًا.

فذهب كل منا إلى سريره وخلدنا للنوم جميعًا أما الجرو فتركناه في

غرفة المعيشة.

صباح اليوم التالي ذهبتُ إلى مدرسة قريبة للتقديم هناك فقد كان فارس في الصف الرابع لطالما تمنيت أن يصبح ذا شأن عظيم لكيلا يواجه ما يواجه أبوه من صعوبة العيش وجلب القوت.

ذهبت إلى ساحة البلدة وسألت المارة حتى دلني أحدهم على مدرسة مناسبة وقدمت الأوراق المطلوبة والتي تسببت في إرهاقي كثيرًا فقد صعدت مرارًا وتكرارًا طوابق كثيرة؛ فشؤون الطلاب ليس لهم وظيفة سوى أمضي هذه من مدام فلانة في الطابق الفلاني واختم تلك من أستاذ فلان، وبعد أن انتهيت من كل هذا ذهبت للبحث عن عمل في المدينة.

بحثت طول اليوم، ذهبت إلى السوق لأحمل البضاعة للمشتريين وذهبت إلى التجار في محلات تجارية والمقاهي وأصحاب العقارات للفلاحين وأصحاب المزارع لم أترك أيا منهم فقد كان يردني الجميع فلم يكن أحد بحاجة إلى عامل نظافة أو نادلٍ في مقهى أو حتى حارسٍ لعقار.

وبينما أنا عائد وحين اقتربت من منزلي وجدت جازاً لي تبدو عليه معالم الرخاء فقد كان منزله كبيراً، يحوي خلفه مزرعة للمواشي وحظيرة دواجن وأغناماً، وكان ممتلئ البنية، قصير القامة، ذا لحية بيضاء، وكانت أصابعه مرصعة بالخواتم ذات الأحجار الكريمة، قد كان يجلس شارد الذهن.

قلت له:

- السلام عليك سيدي أنا جارك الجديد، أدعى "عمار".

قال لي مستبشراً:

- وعليك السلام يا بني، تفضل وأنا أدعى السيد جابر.

دعاني لاحتساء الشاي معه، فدخلت إلى حديقته المليئة بالزهور والأشجار وجلست معه في مجلسه المبطن بالقطن والحريز، وصوت العصافير يملأ المكان بالألحان، عرفته بنفسي مرة أخرى:

- أنا الجار الجديد لهذا البيت، اشتريته حديثاً، أعيش فيه مع زوجتي

وثلاثة أطفال.

فقال لي:

- مرحبا بك في بلدتنا، سعدنا بجوارك. أما أنا فأعيش هنا مع زوجتي السيدة سوزان ولم يرزقنا الله بالولد رغم أنه أفاض علينا من جميع نعمه كما ترى فالحمد لله دائماً وأبداً.

فتبسمت له وقلت.

- الحمد لله على جميع نعمه.

فقال لي:

- أين كنت؟ يبدو عليك الإرهاق.

- كنت أبحث عن مدارس لأطفالي وقد تمت تلك المهمة.

ثم نظرتُ له بياس وقلت:

- وأبحث أيضاً عن عمل طول اليوم فلم أجد، ألا تعلم يا سيدي أين

أجد عملاً لأعول أسرتي؟

فتهلل وجهة واستبشر وقال لي:

- عملك عندي يا رجل فأنا أبحث عن من يراعي الله في ممتلكاتي؛ فأنا كما ترى قد كبر سني ولم يعد لدي القدرة على مباشرة جميع الأعمال.

ابتسمت له وقلت: ولكن كيف؟

قال لي: سوف تعمل هنا فلدي الكثير من المروج والحظائر، سوف تزرع الحقول وتحلب البقرات والعنزات وتجمع بيض الدجاجات والإوز وتعطي لكل منها طعامه، وسوف يمر عليك يومياً عمالٌ لأخذ الإنتاج، ويوماً دون يوم سوف يمر من هنا عامل للنظافة سينظف المكان وتعطيه أجره، ولك مني أجر جيد كل شهر يمر، ما رأيك؟

قلت له وقد وجدتها فرصة جيدة:

- نعم موافق.

وها أنا ذا أمضي عقداً للعمل، فلم يكن عم جابر يعرفني وله كل الحق في أن يضمن حقوقه وممتلكاته.

استأذنته بعد أن احتسبنا الشاي وانصرفت.

عدت إلى منزلي لأخبر زوجتي بما حدث في يومي، أعلم جيدًا أنها تنتظرنني وهي في غاية القلق كالعادة.

بينما أضع مفاتيحي في باب منزلي سمعت صرخة بنتي، فتحت مسرعًا وهرعت إلى الداخل لأرى ماذا يحدث فإذا بمنظر بشع لم أتوقعه.

وجدت تسبيح تقف في غرفة المعيشة وتنظر برعب خلف الأريكة.

ناديتها بدعر:

- ماذا بك يا بنتي؟

لم تجب حتى تقدمت خطوات لأرى ما ترى، إنه "فلافي" وجدته مذبوحًا وقد فصلت رأسه عن جسده، أخذت صغيرتي إلى الخارج وحملتها بين ذراعي، ومنعت سمر وأبنائي من الدخول.

احتضنتها بشدة وأنا أفكر: "من فعل هذا؟ من دخل منزلي؟ وكيف لم

يشعر به أحد؟".

سألت زوجتي والأطفال:

- هل رأى أحد منكم أحدًا أو شعر بشيءٍ غريب.

فنفى جميعهم ذلك.

أمرت الصغار بالصعود إلى غرفتهم حتى أنتهي أنا وزوجتي من

تنظيف المكان، وزوجتي في ذهول وصمت ثم قالت لي:

- لم يدخل أحد منزلنا، من فعلها؟

قلت لها: اهدئي سوف نكتشف الأمر، احرصي على هدوء الأطفال

فحسب.

مر اليوم بصعوبةٍ بالغةٍ وجميعنا شاخص البصر، ولم يتفوه أحدنا

بكلمة، لم يمارس أحدنا أي نشاط فلم يلعب الأطفال ولم نشعل التلفاز ولم

نتسامر كالعادة كل ليلة.

بقيت طوال الليل أفكر فيما حدث ولم أصل إلى أي دليل حتى سمعت

صرخة أخرى لتسييح.

الصوت يأتي من غرفتهم، فزعت زوجتي من نومها وذهبتا مسرعين
لنرى مشهداً مروعاً.

إنها ساجدة معلقة بسقف الغرفة، وعيناها بارزتان والدماء تسيل.

شُنِقَتْ!!!

طفلتي وفارس فقدتا الحركة والتعبير وقد ازرقَّ لونها من شدة
الصدمة، فقدت زوجتي وعيها وشلت حركتي لم أدْرِ أهذا كله يحدث حقاً؟
أم أني في كابوس مزعج وسيتتهي؟

بعد وقتٍ يسيرٍ حملت زوجتي لغرفتنا وأخذت الصغار أيضاً وأغلقت
باب الغرفة بإحكام.

اتصلت بجاري عم جابر. رن جرس الهاتف:

- مرحبا يا بني، كيف حالك؟

قلت له صارخاً:

- عم جابر أنا في مأزقٍ كبيرٍ هلا حضرت فوراً؟

لم تمر عدة دقائق حتى أتى إليّ مهرولاً رغم كبر سنه وزيادة وزنه،
فتحت له الباب وأخذته من يده إلى الطابق العلوي وتركته أمام باب غرفة
الأطفال.

قلت له وأنا أتمالك نفسي:

- ادخل إلى هناك.

وما إن فتح باب الغرفة حتى رأى طفلي معلقة في السقف؛ تراجع
إلى الخلف حتى أسند ظهره على الحائط، وعيناه جاحظتان من شدة
الذهول.

أغلقت الباب ونزلنا إلى الطابق الأسفل والصمت يسود المكان. وما
إن جلسنا حتى قال لي:

- مَنْ فعل هذا؟

هزرت له رأسي مشيراً إليه بأني لا أعلم أي شيء

قلت له: زوجتي بالأعلى فقدت وعيها وأطفالي في غاية الذعر.

وأخبرته أن يتصل بالشرطة والطبيب.

سرعان ما اتصل بالشرطة، وأخبر الطبيب برقم المنزل فأتى مسرعاً
فقد كان يسكن في منزل مجاور لنا، وما إن وصل حتى صعدنا للأعلى
وطمأننا، وأعطى زوجتي بعض العقاقير المهدئة؛ لتنعم بنوم هادئ حفاظاً
على حياتها فالصدمة ليست باليسيرة، وأخبرنا أنه سوف يأتي في وقت
لاحق ليطمئن عليها:

قال عم جابر:

- سوف آخذ الطفلين إلى زوجتي؛ لتعتني بهما فليس جيداً لهما البقاء
هنا.

فقلت له: نعم ذلك أفضل.

ذهب عم جابر وأخذ معه ساجدة وفارس زوجته لتعتني بهما زوجته
حتى تنتهي الشرطة من عملها.

امتلاً منزلي في غضون دقائق برجال الشرطة وطلب مني رئيسهم الجلوس بالأسفل للاستجواب.

دخل الطبيب الشرعي وبعض رجال الشرطة المختصين بجرائم القتل غرفة ابنتي تسيح للكشف عن سبب الوفاة وأخذ البصمات وبعض الأدلة. جلست وأنا في حالة يرثى لها، ذهني شاردا لا أستطيع التفكير ولا الحديث وغير قادر على استيعاب ما يجري.

سألني المحقق:

- هل لديك أي أعداء أو أي شخص توجه له اتهامك بفعل تلك الجريمة.

- لا يا سيدي فقد انتقلت حديثاً إلى تلك القرية وليس لدي بعد أي علاقات، فقط عم جابر تعرفت عليه حديثاً.

- ومن من اشتريت هذا المنزل؟

- من فتاتين بسيطتين ليس بهما أي خطب مريب.

- وأين هما الآن؟

- لا أدري، أخبراني برحيلهما لأبيهما خارج البلاد.

أعاد على سؤالاً آخر:

- هل حدثت أي أمور غريبة في المنزل تريد إخبارنا بها؟

قلت له:

- نعم وجد صغاري جرواً صغيراً وأخذناه للاعتناء به فقد أحبه

الصغار كثيراً ولكننا وجدنا مذبوحاً في غرفة المعيشة صباح اليوم.

دخل عم جابر علينا بعد أن ذهب لتوصيل الصغار لزوجته.

وجه المحقق سؤالاً لعم جابر:

- هل يوجد أي شيء غريب حول المنزل يلفت الأنظار؟

عم جابر: لا يا سيدي فمن تملكه كانت فتاة مهذبة لم نسمع عنها أي

خطب مريب فقد كانت من الجيران الودودين.

وتابع عم جابر وأكد أنه لم يحدث هنا شيء مثل هذا من قبل وفي الآونة الأخيرة أتت فتاة أخرى للعيش معها وبعد ذلك علمنا أنها شقيقتها التي كانت تعيش بالخارج، ولم يبدُ منها أي تصرفٍ غريب.

قال: "حسنا" وأشار إلى مساعديه للذهاب.

كتب مساعد المحقق أقوالي، وأتى الطبيب الشرعي، وقال:

- يبدو أن هناك من له يد في القتل؛ فهناك آثار للخنق والضرب والتعذيب على جسد الضحية.

فنظر إليّ المحقق وقال لي:

- ما ردك على هذا؟

قلت له:

- كيف هذا؟ كانت ابنتي على ما يرام ولم تخرج من المنزل منذ قدومنا ولم يفعل هذا أحد منا بالتأكيد.

قال لي بضحكة ساخرة:

- سوف يتضح الأمر.

وأخذت الجثة إلى المشرحة ورحل الجميع.

قال لي عم جابر:

- سأذهب لإحضار الصغيرين من منزلي.

قلت له:

- حسنا وسوف أصعد لأطمئن على زوجتي.

ذهب عم جابر وصعدت إلى غرفة زوجتي وقد بدأت الشمس في الشروق، بدأت تفتيق وتسالني عن صغيرتها وتتساءل هل هو حلم أم حقيقة.

أخذت أهدئ من روعها وأطمئنها، وفجأة رن جرس الباب ففزعت زوجتي عند سماعها صوت الجرس.

قلت لها:

- أرجوكِ اهدئي، إنه عم جابر أحضر الصغيرين فقد أخذهما إلى زوجته للاعتناء بهما.

نزلت الدرج وبينما أنا في طريقي نحو الباب سمعت صوت فتاة تصرخ في الخزانة، ذهبت إليها مسرعاً وفتحت الباب فلم أجد أي شيء، هدوء تام؛ علمت وقتها أنني قد أتخيل أشياء كثيرة الفترة القادمة بسبب الإرهاق. ذهبت إلى باب المنزل وفتحت الباب وأخذت الصغيرين وشكرت عم جابر على حُسن معاملته ومساندته لنا، فقال لي:

- يا بني أنا موجود في أي وقت إن أردت المساعدة أنا بجانبك لكن عليك توخي الحذر. ثم رحل.

أخذت الصغيرين بين ذراعي وابتسمت لهما وطمأنتهما، وأغلقت الباب.

صعدنا إلى غرفتي حيث توجد والدتهما، وما إن رأتهما حتى أجهشت بالبكاء وأخذت تحتضنها وتقبلها.

قلت لها:

- عزيزتي يجب عليك أن تصبحي أكثر تماسكًا؛ فالأطفال خائفون.

نظرت إليّ ومسحت دموعها واحتضنتها في صمت.

والأقلبااااه

سقطت إحدى وريقات زهرتنا، يجب عليّ الحفاظ على أسرتي مهما كلفني الأمر.

أعطيتها جرعة أخرى من الدواء لتنام مرة أخرى فقد صدم الصغيران من هول ما شاهدها، فليس بالهين على من هم في سنهما، وليس من الجيد رؤية والدتهما بهذه الحالة.

نامت سمر وأخذت الصغيرين ونزلت إلى الأسفل حيث غرفة المعيشة ولم يتفوه أي منهما بكلمة منذ قتلت شقيقتها، فقط عيون دامعة وذهول

مسيطر على أذهانها وخوف شديد، حاولتُ مداعبتها وأشعلت التلفاز،
لكن لا جدوى.

قلت لهما:

- لا تقلقا يا صغيرَيّ، سوف أحميكما من أي شر.

وقبلتها واحتضنتها حتى غفونا على الأريكة فنحن لم ننم منذ
البارحة.

وما إن تمكن النعاس مني حتى رأيت حلمًا غريبًا.

إنها إيثار، الفتاة التي اشتريت منها المنزل تبكي بكاءً شديدًا وتقول لي:

- ارحل، خذ عائلتك وارجل.

فقلت لها:

- لماذا؟

فصرختُ صرخة فزعت على أثرها من نومي ورأيت أحدًا قد مر
سريعًا أمام الباب لكن طفلاي بين أحضاني فلم أستطع اللحاق به سريعًا.

أرحت الطفلين على الأريكة، وذهبت لأرى من صعد الدرج.
أصعد بحذرٍ شديدٍ وأرى ظلاً لأحدهم، وأسمع تمتاتٍ وكلماتٍ غير
مفهومة.

دقات قلبي تتسارع

يا للهول، ما عساه أن يكون؟

هل هناك أحد في المنزل غيرنا؟

وما إن وصلت حتى وجدت المكان هادئاً بلا أي ظلال.

المكان هادئٌ تماماً.

دخلت على زوجتي وجدتها نائمةً وما إن اقتربت منها حتى وجدتها
غارقة في دمائها.

قطعت سمر شرايين يدها؛ لم تتحمل وسارعت للتخلص من حزنها
على ابنتها.

كيف فعلت هذا؟

ألم نتعاهد أن نصبح معاً مهما كلفنا الأمر ومهما واجهنا من صعاب؟

وفي تلك اللحظات لم أتمالك نفسي، بكيت وقلت لها:

- تركت لي الصغيرين وأعدك سأعتني بهما، لن يمسهما سوءٌ يا

حبيبتي.

اتصلت بالشرطة مجددًا:

- ألووو، أريد الإبلاغ عن حالة انتحار.

- ما العنوان سيدي؟

أعطيته عنوان المنزل.

- أهذا هو نفس المنزل الذي أرتكبت فيه جريمة قتل بالأمس؟

قلت لها:

- نعم هو، من فضلك أسرع.

- حسنا.

وانتهت المكالمة.

اتصلت بعم جابر ليأخذ الصغيرين لزوجته مجددًا وتلك المرة لعدة أيام أو لأسابيع فقد خفت عليهما كثيرًا ولم أكن لأتحمل مسؤوليتهما تحت كل هذا الضغط.

أتي في الحال عم جابر وأعطيته بعض أغراض الطفلين دون أن أنفوه بكلمة ولم يتفوه هو الآخر بأي شيء فقد ربت على كتفي ورحل.

أتي رجال الشرطة لفحص المكان وجثة زوجتي ومعهم طبيب شرعي وبعض من المحققين وبالطبع تم استجوابي عن ما حدث فقصصت لهم ما حدث بالتفصيل وأكد الطبيب الشرعي أنها محاولة انتحار وليست قتل.

وقبل أن يرحلوا اتصلت بهم موظفة استقبال المشرحة وتولى الرد كبير

المحققين:

- نعم سيدتي أنا هو.

ثم أخبرته بشيء فتبدل وجهه وصرخ فيها قائلاً:

- كيف حدث هذا؟ أين كنتم؟ أين الحراسات المشددة؟ أين الطبيب؟

ثم تابع قائلاً:

- أغلقوا جميع الأبواب ولا يخرج أحد من المكان حتى وصولنا.

أغلق الخط، فسألته:

- ماذا حدث سيدي؟

فقال: اختفت جثة الطفلة من المشرحة.

تدافعت الدماء لعروقي وقلت في غضب:

- كيف يحدث مثل هذا؟ كيف؟

هدأني المحقق وأمر رجاله بحمل جثة زوجتي إلى المشرحة معنا وأمر

بحراسة مشددة لها حتى صدور أمر بالدفن والتفرغ للبحث في القضية

الأخرى، ثم نظر إلي وقال لي: نحتاجك معنا يا سيد عمار.

على الجانب الآخر كانت فتاتي الصغيرة تمر بحالة نفسية سيئة بسبب فقدان توأمها أمام ناظريها ومن ثم والدتها فقدت القدرة على النطق.

ترفض أي طعام تقدمه لها السيدة سوزان زوجة عم جابر.

كانت حالتها تسوء يوما بعد يوم.

أصبحت شاحبة، جف جسدها كعجوز مريض.

وبينما نحن في المشرفة نبحث عن جثة شقيقتها التي اختفت دون أثر

اتصلت بنا زوجة عم جابر وهي تصرخ بشدة ولم تكن تردد سوى كلمتين

فقط:

- قتلت شقيقتها، قتلت شقيقتها.

أسرنا إلى بيت عم جابر لنرى الأمر، وجدت طفلي قد ذبح وشق

بطنه، وشقيقته تجلس بجانبه ويدها ملطخة بدمائه والسكين بجانبها.

لم يصدق أحدنا ما يحدث.

كيف تفعل طفلة مثل هذا؟

عدنا للتحقيق مرة أخرى مع السيدة سوزان فسألها المحقق:

- ماذا حدث سيدتي؟

فقالت:

- اطمأنتت عليها ثم ذهبت إلى النوم قليلاً بينما هما نائمان، وبعد وقت قصير لم يتجاوز الساعة أفقت على صوت بكاء ثم صراخ ثم بعض الضحكات الصاخبة، ذهبت مسرعة لأرى ما الأمر ورأيت ما رأيتموه.

فقال لها:

- ألم تظهر عليها أي أعراض سابقة تدل على رغبتها بفعل شيء كهذا؟
- لا، قد كانت دائماً صامتة، ولا تأكل ولا تتحرك كانت مليئة بالحزن فحسب.

فأشار إلى الجميع بالاستعداد للرحيل وأمر بأخذ الجثة إلى المشرحة والطفلة إلى المصححة النفسية.

ستذهب فتاتي إلى مصحة للأمراض النفسية.

وسوف يوضع ولدي بجانب أمه.

وسنعاود البحث عن جثة ابنتي الضائعة.

بينما نحن في الطريق أخذ رأسي يدور ويدور.

ماذا يحدث لنا؟

ما هذا البيت؟

لقد كنت أنوي عيش حياة سعيدة لي ولأسرتي وها أنا قد فقدت جميع
أفراد أسرتي التي كانت كل ما أملك.

لمن أعيش اليوم؟

لمن؟؟

أين ذهبت جثة ابنتي؟

ومن فعل بها هذا؟

ولماذا انتحرت زوجتي فقد كانت دائمة الصبر؟

ولم تقتل طفلة شقيقها؟

ومن قتل الكلب؟

ما قصة ذلك المنزل؟

ثم انتهت على صوت المحقق يخبرني بأننا قد وصلنا.

قال المحقق: هيا بنا سيد عمار ها قد وصلنا.

وضعوا جثة طفلي بجوار أمه، وطفلتي ذهبت إلى المصححة.

أما نحن فقد ذهبنا إلى قسم الشرطة للتحقيق في الأمر وجمع الأدلة

وبعض الشكوك حول المشتبه بهم والبحث عن جثة الصغيرة.

تابع الطبيب الشرعي عمله في المشرحة للوصول إلى أي عامل مشترك

بين أسباب وفاة الجثث.

يحكي الطبيب:

- "بينما أنا منهمك في عملي ليلاً وحيداً داخل المشرحة ذهبت إلى

المطعم الخاص بالمكان لكي أكل بعض الطعام وأشرب قهوتي كي أستطيع

إكمال عملي الشاق.

وبينما أنا في الطريق كان الممر طويلاً جداً، وضوءه خافت وإذ به ينقطع تماماً، ويسود المكان الظلام الدامس ويصدر صوت من المشرحة، إنها أبواب الثلاجات تفتح وتغلق بشدة.

يا الله ما هذا؟

كاد قلبي أن يتوقف.

ثم بعد دقيقة عاد كل شيء كما كان، ذهبتُ مسرعاً إلى المشرحة فلم أجد الجثث؛ فقط آثار الدماء منتشرة على الأرض حتى نهاية الغرفة، والحائط ملطخ ببعض منها ثم لا أحد ولا شيء آخر.

اتصلت بالمحقق مسرعاً ودقات قلبي تكاد تشق صدري وأنفاسي متلاحقة مختنقة، ورنات الهاتف تطول ثم يرد المحقق:

- أهلاً أيها الطيب.

قلت مسرعاً: لقد سُرقت الجثث، اختفت تماماً أرجو الحضور فوراً سيدي".

على الجانب الآخر أصيب المحقق بالذهول.

ماذا يحدث؟

ما هذا اللغز العجيب؟

سألت المحقق:

- ماذا بك سيدي المحقق هل توصل الطيب إلى شيء؟

لم يلتفت إلي المحقق ظننت أنه لم يسمعني؛ أعدت عليه السؤال مرة أخرى بصوت أعلى من المرة السابقة.

- سيدي!! هل توصل الطيب إلى شيء؟

نظر المحقق إلى شرطي يقف بجواره وقال له:

- اجمع قوات كثيرة فلدينا عمل شاق الليلة.

لم أفهم عن ماذا يتحدث، ثارت بداخلي الشكوك.

قلت بنبرة بها شيء من العنف: ماذا يحدث؟ هل لي من جواب؟

قال بنبرة مهتزة وحائرة:

- للأسف لقد اختفت باقي الجثث.

خارت قواي في تلك اللحظة.

لماذا؟!

لم يحدث كل هذا؟

ذهبنا مسرعين إلى المشرحة وفور دخولنا قابلنا الطبيب بوجه شاحب مصحوب بزرقه في الشفتين كأن أحداً حاول خنقه ثم أشار بإصبعه اتجاه الغرفة.

ذهبنا إلى هناك لنرى خطأً من الدماء يبدأ من تحت أرجل الحاملتين اللتين كانتا تحملان الجثث حتى ينتهي عند حائط مصمت.

أين ذهبت؟

أي اختفت؟

لا أحد يدري.

التفت المحقق إلى الطبيب قائلاً:

- هل كان هناك أحد أو أي شخص داخل المكان؟

فكان الجواب وهو يلتقط أنفاسه:

- لا، لا يا سيدي، ليس هناك أحد غيري.

ثم أكمل:

- فقط انقطع التيار وأنا في طريقي إلى المطعم، وسمعت صوتاً يصدر

من هنا كاصطدام أحدهم بالحامل، ثم عاد التيار فلم أجد أي منهم
ووجدت تلك الآثار.

نظر كل منا إلى الآخر في صمت.

في المصححة النفسية كانت ابنتي تحت رعاية مشددة، كانت لا تغمض عينيها ولا تحرك ساكنا، لا تأكل، لا تشرب، لا تسمح لأي شخص بلمسها، كانت شديدة التوتر والانعاج.

ذهبت إليها لأتفقد أحوالها، سرت في ممرٍ طويلٍ حتى وصلت إلى غرفتها ونظرت إليها من خلف شباكٍ زجاجيٍّ كبيرٍ، وجدت الطبيب المسؤول عنها قد ربط أطرافها بسلاسلٍ ليستطيع أفراد الطاقم الطبي التعامل معها.

دمعت عيناى لذلك المشهد واعتصر قلبي؛ فكيف تعامل طفلة هكذا؟ طلبت من الممرضة الدخول إليها فمنعتني بحجة أن ذلك أفضل لها وللجميع وقالت لي:

- عليك الرحيل أيضًا.

عدت إلى المنزل لأخذ قسطٍ من الراحة وتبديل ملابسِي فنحن منذ عدة أيام نعمل على حل قضايا متشابكة كيف ومتي سأستيقظ من ذلك الكابوس؟

وما إن وصلت إلى المنزل حتى رحت في نومٍ عميقٍ من شدة التعب. وما لبثت حتى وجدت نفسي في الخزانة المخصصة للأغراض التالفة وغير المرغوبة، وجدت بها صندوقاً به صور الفتاتين، إحداهما تنظر إلى الصور بفزع والأخرى تأتي من خلفها لتقتلها، وما إن رأيتني حتى أخذت تركض خلفي وخلف أسرتي وتقتلهم فرداً تلو الآخر. فزعتُ من نومي والتقطت أنفاسي.

ما هذا الكابوس المفزع؟

التفت حولي فوجدت بجانبِي كوب ماء، تناولته وشربت بعضاً منه حتى أهدأ قليلاً.

راودتني بعض الشكوك حول المنزل وأن ما أراه ما هو إلا رؤيا لتنير بصيرتي فذهبت نحو الخزانة للبحث فيها عن ما رأيت.

وأنا في طريقي إليها رن جرس الهاتف، هرولت إليه لعل هناك شيئاً ما حدث.

رددت على الهاتف:

- مرحبا فوجدته شرطياً يخبرني بضرورة الحضور فوراً.

حاولت الاستفسار منه عن السبب، فأجاب أنني سأعلم كل شيء عند حضوري.

أنهيت المكالمة وبدلت ملابسني وعدت إلى قسم الشرطة مرة أخرى وتركت الخزانة لحين العودة.

عندما وصلت إلى قسم الشرطة وجدت مساعد المحقق هو من يجلس
مكانه فتنبأت أن علة ما قد أصابته.

قلت: مرحبا سيدي.

- مرحبا بك.

- أين المحقق فقد اعتدت أن يكون هو من يجلس هنا؟

فقال لي بشيء من الحزن:

- قُتل سيدي.

قلت له: كيف ذلك؟ ومن له يد في ذلك؟

قال: لقد طُعن بسكين في منزله وعندما أخبرتنا زوجته وصعدت إلى

غرفته مرة أخرى لم تجد الجثة!

- يا إلهي ماذا يحدث؟ ما السر وراء اختفاء الجثث في تلك البلدة؟ ما

السر في حوادث القتل تلك؟

إيثار

أخبرني مساعد المحقق بأننا سوف نتوقف قليلاً حيناً من الدهر حتى تأتي التعليقات من الجهات العليا وحتى يتم تنسيق الأمور وتعيين محقق جديد للقضايا، والبدء في البحث مجدداً عن الجثث المفقودة.
استأذنت للانصراف.

عدت إلى منزلي فوجدت رسالة صوتية في انتظاري فتحتها وتوقعت

ما بها.

"أهلاً سيد عمار، يجزني أن أخبرك بوفاة صغيرتك خلال نوبة من تلك النوبات التي كانت تمر بها خلال الأيام الماضية، زاد ضغط الدم فوق المعتاد مما أدى إلى انفجار شرايين وأوردة الدماغ بالكامل وقد أبلغنا الشرطة وتم تحويلها من المصححة إلى المشرحة لعمل اللازم".

نعم توقعت ذلك بعد آخر مرة رأيتها فيها، علمت أن صغيرتي

ستموت.

جلست في غرفة المعيشة لدقائق ثم تذكرت الخزانة فهرعت إليها وفتحت الباب ودخلت إليها وأضأت المصباح وإذا بصندوق خشبي كبير عليه بعض الغبار، أزحت عنه خيوط العنكبوت وفتحته، وجدته مليئاً بالصور والأوراق، تناولت الصور فكانت الصاعقة.

إنها صور لعائلي وللآنسة إيثار وللمحقق ولعم جابر وزوجته
ورجال الشرطة والطبيب الشرعي ولي أيضًا.

يا للهول!

فجأة أغلق باب الخزانة فذهبت نحوه لأفتحه ولكنه كان مغلقاً بشدة،
وإذا بي أشعر بأنفاس شخصٍ خلفي فالتفت فجأة فلم أجد أحدًا.
صوت ضحكات تتعالى في الخارج، حاولت الخروج لكنني فشلت.
عدت إلى الصندوق مرة أخرى وجدت فيها عقد بيع المنزل النسخة
الخاصة بالفتاتين ووجدت فيها ورقة أخرى كانت رسالة غريبة.
" سوف أبقى معك في منزلك ".

ومع الأصوات بالخارج وأصوات الشبايك والأبواب تفتح وتغلق
أدركت حينها أن المنزل مسكون وأن سكان ذلك البيت قد رفضوا وجودنا

به

حاولت البحث عن شيء يحميني من تلك الأرواح

يجب عليّ مغادرة ذلك المنزل وحرقة حتى ينتهي الأمر.

كانت زوجتي قد وضعت بعض الأغراض هنا فوجدت ملحًا للطعام
وقد قرأت ذات مرة أن الملح يعمل على تحصين المكان ضد الأرواح،
أخذت أضع الملح عند أسفل الباب وفي أركان الغرفة وفوق الشباك.

وها أنا قد انتهيت وملاّت الغرفة ملحًا ووجدت قطعة قماش فأخذت
أصنع منها كرات مليئة بالملح وأربطها على جسدي حتى أحمي نفسي أنا
الآخر، وعزمت الأمر على أني سأحاول كسر الباب والخروج لإحضار
بعض الوقود وإحراق المنزل بالكامل.

اقتربت من الباب محاولاً فتحه بفتحة بسهولة، علمت وقتها أن الملح
يعمل كما خطط له.

خرجت فإذا بأناس كثيرين يملؤون المكان، منهم من أعرفهم وهم
من قُتلوا من عائلتي، والمحقق، ومنهم من لم أرهم مسبقًا.

أخذت معي كيسًا من الملح وعندما أراد شبح الفتاتين الاقتراب مني،
رششت بعضًا من الملح فإذا بهما تصرخان وتبتعدان.

ابتعد عني الجميع حتى خرجت إلى الفناء بأمان وذهبت سريعًا إلى
منزل عم جابر ودخلت إلى الفناء الخلفي للبيت فإذا به الكثير من الوقود
والقش.

أخذت الوقود والقش وعدت إلى منزلي وصوت الصراخ والتمتمات
يتعالى.

أخذت أضع الوقود حول المنزل حتى أحطته من جميع الجهات بالوقود
والقش وملأت الفناء الصغير أيضًا وأشعلت نارًا وابتعدت.

وقفت أنظر إلى منزلي الذي طالما تمنيته وهو يحترق، إلى أن هدأت
الأصوات وانطفأت النيران وأصبح منزلي رمادًا محترقًا، وحينها شعرت
بأهل الحي حولي، وعم جابر يطوقني بذراعيه والشرطة من جديد تملأ
المكان.

